تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

قارىء صديق يرافع عن القراء :

أنا واحد من أولئك الذين يعيشون معك — فى عالم الأدب والفن — تحت سقف واحد من المشاركة الفكرية والمشابهة الوجدانية . فكم عرضت لقضايا الأدب وعالجت من شئون الفن بما يواتم خلجات مشاعرى كل المواءمة ، وبما تتجاوب معه هزات أفكارى ورفات خواطرى أشد التجاوب .. سوى فارق واحد هو أننى لو أردت أن أتمخض عن هذه الارهاصات الفكرية المشتركة وأشعل — فى الأفق ثقاب تلك الومضات الشعورية المتشابهة ، لما وانانى ذلك الوهج الساحر والفن القادر والجمال الشاعر الذى يتدفق من نبع براعتك الأسرة ، وينبجس من غدير مدادك المسحور ؛ ولأعيانى — كما يقول شاعر الفن الخالد على طه — ولأعيانى دبيب الحياة فى مخلوق . ولكم ضمنى مجلس من مجالس السمر واحتوتنى ندوة من ندوات الفكر ، فى هذا الجانب البعيد من ذلك «الجانب من الثرى» كما يسميه شاعر البيان الخالد شوقى ، فرحنا ندير كئوس الحديث حول الأدب والفن والحياة . وقليلا ما كنت ألمح نجوى فى نفوس الندامى أطيافا من رضا وأصداء من هوى ، وإذ يرغبون إلى فى أن أريق ما أعتصر من قطرات الرأى على مائدة الورق وخوان الصحف ، أفتدرى ماذا يكون جوابى ؟ نعم إنك تدرى . فصاحب هذه القيثارة النفسية المرنان والحنجرة الفكرية المدوية بأروع الأصداء وأعذب الألحان ، لا ينقصه الإلهام الشفاف والحساسية اللاقطة والحدس المرهف . يكون جوابى : أيها الندامى ! أيها العشاق ! لا يسقى وباخوس فى المدينة ! يطالعكم بأشهى سلاف وأعتق خمر فى أبهى كأس وأبدع قدح .. ويفهمون للحال من أعنى ، فليس فيهم يا أخا الروح من يجهلك !

من أجل هؤلاء الندامى وأمثالهم فى بقاع العباد .. من أجل هؤلاء القراء — وأنا واحد منهم قبل كل شىء — سأختلف معك ، هذه المرة ، فى أمرهم ، وسأحمل لواء المعارضة عنهم ، وسأستعين ، فى كسب قضيتهم وإثبات براءتهم ، بك عليك !

أجل يا سيدى ! فلقد رميت القراء — وعممت — بهذا الاتهام الجائر الذى لا أقرك عليه ولا أتفق معك فيه . وذلك حين تقول : « إن لدى ثلاثة كتب مهيأة للطبع ، ولكن أزمة القراء تصرفنى عن التفكير فى إخراجها إلى حين ؛ إلى أن يقدر الله لهذه الأزمة أن تنجلى ولهذه الغمة أن تزول ، ويجد القراء من وقتهم ومالهم وجهدهم ما يعينهم على قراءة الكتب التى تستحق بذل الوقت والجهد والمال ! ماذا نفعل إذاً كان القارىء العربى قد أصبح قارىء مقالة ، يريد أن ينتهى منها وهو يحتسى قدحا من الشاى أو يترقب وصول الترام أو ينتظر قدوم صديق » ؟

أجل يا سيدى ! إننى لا أرى رأيك هذا ولا أقرك أنت ولا غيرك عليه ، إذ لو فتشت فى مطاويه ونفذت إلى خباياه لطالعك مستقبل الثقافة العربية أشد ما يكون عليلة وركاكة ، ولوجب أن نهيأ للفتنا الحية الأكفان ونشق لها اللاحد .. « لقد أصبح القارىء العربى قارىء مقالة يريد أن ينتهى منها وهو يحتسى قدحا من الشاى أو يترقب وصول الترام أو ينتظر قدوم صديق » .. أجل ، هذا حق .. وهذه ظاهرة صادقة .. اتخذتها أنت مقدمة صائبة إلى نتيجة خاطئة . إذ لم لا تكون هذه الظاهرة الصادقة نتيجة لا مقدمة ؟ لم لا تكون نتيجة لنمو الوعى الثقافى وأثرا من آثار الإقبال على القراءة عامة وارتياد روافدها جميعا ؟ أى أن القارىء لا يريد أن يترك حتى أضيق أوقاته وأسرعها خطى .. أوقات احتساء الشاى وترقب الترام وانتظار الصديق .. دون أن يشغلها بما يستدعيه المقام ويتطلبه مقتضى الحال ؟ إننى لأسألك أنت بالذات : ماذا تقرأ فى ساعة .. بل فى دقائق احتساء الشاى وترقب الترام وانتظار الصديق ؟ أتقطع هذا الوقت العابر بغير المقالة العابرة ؟ أم تجد فى مثل تلك اللحظات الخواطف ما يتسع لمعالجة مشكلة الأداء النفسى ودراسة على طه وسارتر وتشريح جان جاك روسو ؟

لا .. لا .. يا سيدى . فلتعد النظر فى اتهامك مرة ثانية ، ولتحسن ظنك بنا معشر القراء ، فما زال فى السوداء قراء ، وما زالت سوق الأدب الثمين والفن العالى تجد من الرواج والإقبال ما يهون معه بذل الوقت والجهد والمال ، وما زالت لك — ودعنى أخجل تواضعك — فى نفوس القراء فى جميع الأقطار العربية ، ما زالت لك تلك المنزلة الممتازة التى كسبت لك عبر الأدبية السورية المطبوعة وداد سكاكينى . ولا تحسبن حديثها ذاك من قبيل المجاملة — بل هو الحقيقة التى يؤيدها الواقع .. الواقع الذى يعلمه الناس حق العلم ويعرفونه حق المعرفة .. فلا تظلم الواقع إذن ولا تظلم القراء ، ولا تتأخر فى أن تقدم لهم ما لديك من كتب . ثم ماذا ؟ ثم إننى لا أريد أن أبرح هذه النقطة ، قبل أن ألقى إليك بالدليل الحاسم القاطع من أدلة النفى ، نفى اتهامك للقراء ، مستعينا — كما قلت لك من قبل — مستعينا بك عليك ، فأنت الخصم والحكم . وفى يدك وحدك ، وأيدى القراء أيضا ، إثبات هـذا الدليل .. هذا الدليل هو أن القراء على استعداد تام ، وبرهانهم فوق أيديهم ، أن يشتروا منك كل كتبك منذ الآن . قبل طبعها ! فهل أعنتهم على تحقيق بغيتهم واستجابة طلبتهم ؟

وحين يتم طبع كتبك . ويعييك أن تستبقى لنفسك خاصة ولو نسخة واحدة من كل كتاب ، ستعرف أى ظن آثم رميت به القراء وأى اتهام ظالم هم منه براء .. والسلام عليك والتحية إليك :

من القارىء

« طهطا » ع . ع . ص

لست أدرى لماذا آثر هذا القارىء الصديق أن يخفى إسمه ؟ لو علم مبلغ إعجابى بأدبه وتقديرى لوفائه لما آثر أن يتحدث إلى من وراء قناع .. إنه ليسرنى يا صديق أن أعرف إسمك ، ليس ذلك لأنك أسرفت فى الثناء على هذا القلم ، ولكن لأنك أديب يستحق أن يعرفه الناس ، وأنا لا أحب لأمثالك أن يظلوا أدباء مع إيقاف التنفيذ !

لقد دافعت دفاعا حارا عن القراء ، لأنك قارىء مثالى ينظر إلى غيره على أنه نسخة صادقة منه .. ألا ليت القراء كانوا فى مثل شغفك بالقراءة وولعك بالاطلاع ووفائك للأدب . لو كانوا كذلك لما يئس من مستقبل الثقافة فى مصر كل صاحب قلم ، ولما جفت فى حدائق الفكر الرفيع ثمرات العقول ! إنهم كما قلت لك قراء مقالة ، يريدون أن ينتهوا منها وهم يحتسون أقداح الشاى أو يترقبون وصول الترام أو ينتظرون مقدم صديق . أعنى — وهذا هو الذى لم يتضح لك — أنهم أبناء عصر السرعة والعجلة وعدم التريث والاحتشاد . أعنى مرة أخرى أنهم يستمدون ثقافتهم من مقال عابر أو رأى طـائر ، بقدر ما يسمح لهم الصبر الذى أنهكت قواه أسباب المادة والوقت الذى عصفت بقيمته توافه الأمور !

إننى حين أتحدث عن أزمة القراء لا أقصد قراء المقالة ، فهم بخير والحمد لله .. لأن المقالة ان تجور على الوقت « الثمين » الذى يقضونه فى أماكن اللهو والجلوس فى القهوات ، ولن تجنى على « الميزانية » المخصصة الاقصة الحربية عند بعض المشهين بأبناء الذوات .. من اليسير جداً أن ينفق القارىء المصرى عشر دقائق من وقته فى قراءة مقال ، وقرشين من جيبه ثمنا لمجلة تحمل إليه هـــذا المقال ، ولكنه يضيق كل الضيق وينفر كل النفور من صحبة كتاب نفيس ، لأنه يضن عليه بالوقت الذى ان يتعدى الساعتين وبالقروش التى ان تزيد على العشرين ! أنا إذن لا أشكو من قراء المقالة يا صديق العزيز ، لأننى ألقاهم كل أسبوع فى هذا المكان ، ولكننى أشكو من قراء الكتب وأشفق من لقائهم فى مقبل الأيام .. إن عيبى — وقد يكون هـــذا العيب مزية — وهو أننى أعيش حياتى كلها فى عالم الواقع ، وعالم الواقع هو الذى يدفعنى إلى أن أزن الأمور بميزانها الصحيح ، وأن أقول لنفسى اليوم كما قلت لها بالأمس : تريث قليلا حتى يقدر الله لهذه الأزمة أن تنجلى ولهذة الغمة أن تزول ، ويجد القراء من وقتهم ومالهم وجهدهم ما يعينهم على شراء الكتب التى تستحق بذل الوقت والجهد والمال !

لا تظن أننى وحدى الذى أشفق على مستقبل الكتاب المصرى وأنظر إليه هـذه النظرة القاتمة ، حسبك أن ترجع إلى تلك القصة التى تحدث عنها توفيق الحكيم يوماً فى « أخبـــار

اليوم » ثم عرضت لها بالتعقيب على صفحات « الرسالة » .. ترى هل تذكر تلك القصة التي رواها الأستاذ الحكيم عن تلك المكتبة العامرة بالكتب في أشهر ميادين القاهرة ، كيف تحولت أخيراً إلى حانوت للمرطبات ؟! إن صاحبها كما يقول هو صاحبها لم يتغير ، ولكنه قلب نفسه بكل بساطة من « كتبي » إلى « شربتلي » .. وعند ما سئل في ذلك قال : الناس لا يريدون اليوم عصير الذهن ، ولكنهم يريدن عصير الليمون !!

ماذا أقول لك بعد هذه القصة ؟ حسبك أن العقاد يشكو ، وأن توفيق الحكيم يسخط ، وأن أصحاب دور النشر يضجون من كساد الكتب وإعراض القراء .. وحتى الأسواق الخارجية التي كنا نعتمد عليها في الترويج للكتاب المصري — وأعني بها أسواق سورية ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين والحجاز قد أغلقتها في وجوهنا وزارة المالية المصرية ، حين قررت أن يدفع أصحاب المكتباب هناك أثمان الكتب قبل أن تتصفحها الأيدي وتتملاها العيون .. أرأيت قرارا أعجب من هذا القرار ؟ لقد ترتب عليه أن امتنع أصحاب تلك المكتبات عن التنفيذ ، لأنهم ليسوا مغفلين حتى يدفعوا أثمان كتب لم يعرضوها ليعلموا مدى حظها من إقبال القراء !

ألست توافقني على أنه من الخير أن أرجىء طبع ما لدي من كتب ، حتى يكون للأدباء نقابة كنقابة المحامين والصحفيين تدافع عن حقوقهم المهضومة ؟ .. إن الأمل الوحيد أمام الأدباء المصريين هو أن يعملوا على تحقيق هذه الأمنية ، فإذا ما تحققت وفتحت الأسواق العربية أمام الكتاب المصري من جديد ، فإن هذا القلم سيجد من أصدقائه المديدين في مختلف أقطار العروبة ما يدفعه إلى أن يقدم للمطبعة ما لديه من ومضات الفكر وهمسات الشعور !

صرخة الفن الشهيد في العراق :

هي صرخة الشاعر العراقي المطبوع الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري .. أطلقها منذ أيام على صفحات « الرسالة » فهزت قلوبا ومشاعر !

ماذا أقول للعراق ؟ العراق الذي يريد لشعلة الفن أن تنطفئ ولرسالة الشعر أن تضيع ؟ العراق الذي يعيش فيه بعض أبنائه وهم غرباء . غرباء الفكر والقلب والروح ؟ إن عبد القادر وتر من الأوتار الصادحة بأنغام الحق والخير والجمال ، فلماذا يريد العراق لهذا الوتر أن تخمد أنغامه وهو يغني له ويتغنى به ؟ أهو يضيق بصوت الحق فلا يسمع ، وبمعنى الخير فلا ينظر ، وبسر الجمال فلا يطرب ، وبصرخة الفن الشهيد فلا يستجيب ؟!

ماذا أقول للعراق ؟ العراق الذي أرسل عبد القادر ليعب من مناهل العلم في « السربون » ثم عاد فأبعده عن المنهل العذب ليشكو حرقة الظمأ ومرارة الحرمان ؟ إنها مأساة .. مأساة أن أرى العراق يحول بين أحد شعرائه وبين نور العلم ، وهو بهذا النور سيضيء لوطنه أقباس الأمل ومشاعل الرجاء !

إن مصر المثقفة التي تنادي اليوم بجعل التعليم حقا مشروعا لكل حي مثله في ذلك مثل الماء والهواء ، مصر هذه تعلن من فوق هذا المنبر — منبر الرسالة — أنها غاضبة وعاتبة .. غاضبة لأن هذا الشاعر المظلوم قد حيل بينه وبين حق هو أقل ما يجود به وطن على فنان . وعاتبة لأن هذا الحق المشروع قد سلب في عهد رجل يقف في الطليعة من رجال العراق خلقا وثقافة ، وهو معالي الأستاذ « خليل كنه » وزير المعارف في القطر الشقيق . ! !

ويضيق النطاق اليوم عن عرض هذه المأساة ، فالى العدد القادم من « الرسالة » حيث أوجه الخطاب إلى معالي الأستاذ « خليل كنه » ، باسم الأدباء والشعراء في مصر والأقطار العربية.

أنور المعداوي

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز وتحليل مفصل واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع أثنى عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد